
الأَمِيرُ المُتَخَفِّي

حديقة الطفل

الأمير المنخفي

بقلم

ابراهيم عزوز

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي (الفجالة) بالقاهرة

- ١ -

كَانَ خُزَيْمَةُ بْنُ بِشْرٍ وَاحِداً مِنْ أَجْوَادِ الْعَرَبِ فِي زَمَنِ الْخَلِيفَةِ الْأُمَوِيِّ ، سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ قَدِ امْتَدَّتْ وَاتَّسَعَتْ فِي عَصْرِ بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى حُدُودِ الصِّينِ فِي الشَّرْقِ ، وَإِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ فِي الْغَرْبِ . وَبِذَلِكَ أَصْبَحَتْ أَكْبَرَ دَوْلَةٍ عَرَفَهَا تَارِيخُ الْعَالَمِ

فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ الْمُتَرَامِيَةُ الْأَطْرَافِ، مُقَسَّمَةً إِلَى وِلَايَاتٍ عِدَّةٍ ، يَحْكُمُ كُلَّ وِلَايَةٍ مِنْهَا أَمِيرٌ أَوْ وَالٍ ، يَتَّصِفُ بِالْعَدْلِ وَالْحَزْمِ وَالِاسْتِقَامَةِ، كَمَا يَأْمُرُ الْإِسْلَامُ بِذَلِكَ .

مِنْ هَذِهِ الْوِلَايَاتِ ، وِلَايَةُ الْجَزِيرَةِ ، الَّتِي تَقَعُ الْآنَ فِي الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ مِنْ جُمْهُورِيَّةِ الْعِرَاقِ الشَّقِيقَةِ .

فِي هَذِهِ الْوِلَايَةِ أَقَامَ خُزَيْمَةُ بْنُ بِشْرٍ ، وَرَاحَ يُنْفِقُ مِمَّا مَلَكَتْ يَدَاهُ عَلَى كُلِّ مَحْرُومٍ

وَمُحتَاجٍ .. وَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ زَمَنًا لَيْسَ بِالْقَصِيرِ !!

فَلَمْ تَلْبَثْ ثَرْوَتُهُ الطَّائِلَةُ أَنِ انْتَقَلَتْ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ مِنْهَا، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ مَعَ ذَلِكَ لَا يَأْسَفُ عَلَى مَا فَعَلَ . وَرَاحَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُفَرِّجَ اللهُ كُرْبَتَهُ ، وَيُزِيلَ عُسْرَتَهُ . وَلَمَّا طَالَ انْتِظَارُهُ رَجَعَ ذَاتَ مَسَاءٍ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ ظَاهِرُ الضِّيقِ وَالتَّعَبِ ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ زَوْجَتُهُ بِابْتِسَامَةٍ رَقِيقَةٍ حُلْوَةٍ ، تُرِيدُ أَنْ تُخَفِّفَ عَنْهُ بِهَا بَعْضَ مَا كَانَ يَشْعُرُ بِهِ مِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ ، وَهَمِّ النَّفْسِ !!

لَقَدْ كَانَتْ زَوْجَتُهُ تَعْرِفُ سَبَبَ أَلَمِهِ وَضِيقِهِ ، وَكَانَتْ تَتَأَلَّمُ كَمَا يَتَأَلَّمُ ، وَتَحْزَنُ كَمَا يَحْزَنُ ، وَلَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ تَظَاهَرَتْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ بِالصَّبْرِ وَالرِّضَا ، وَقَامَتْ تُعِدُّ طَعَامًا خَفِيفًا مِمَّا بَقِيَ عِنْدَهُمْ فِي الدَّارِ ، ثُمَّ قَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ ، وَجَلَسَتْ تُؤَاكِلُهُ وَتُلَاطِفُهُ ، وَتَقُصُّ عَلَيْهِ قِصَصًا مُسَلِّيَةً ، وَحِكَايَاتٍ طَرِيفَةً ؛ لِتَشْغَلَهُ عَنْ هُمُومِهِ وَأَفْكَارِهِ . وَلَمَّا وَجَدَتْهُ لَا يَزَالُ ضَيِّقَ الصَّدْرِ قَالَتْ لَهُ :

- لِمَاذَا تَقْلَقُ وَتَجْزَعُ يَا بْنَ الْعَمِّ ؟! إِنَّكَ تُوشِكُ أَنْ تَقْضِيَ عَلَى نَفْسِكَ بِهَذَا الْأَسَى

وَالأَسَفِ ! !

إِنَّكَ مَا أَنفَقْتَ مِنْ ثَرْوَتِكَ شَيْئاً فِي مُحَرَّمٍ . . وَسُكَّانُ الْجَزِيرَةِ كُلُّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّكَ كُنْتَ تُقَدِّمُ أَمْوَالَكَ لِكُلِّ مُحْتَاجٍ ، فَمَا بَخِلْتَ بِهَا يَوْماً عَلَى جَائِعٍ وَلَا عُرْيَانٍ ، وَمَا كَفَفْتَ يَدَكَ عَنْ مُسَاعَدَةِ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ ، وَمَا أَقْفَلْتَ بَابَكَ فِي وَجْهِ طَارِقٍ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ! !

وَابْتَسَمَتْ فِي وَجْهِهِ ابْتِسَامَةً مُطْمَئِنَّةً وَهِيَ تَقُولُ :

— إِنَّ الرَّجُلَ صَاحِبَ الْقَلْبِ الْكَبِيرِ ، لَا يَطْلُبُ



وزاد به الألم . فأدار ظهره للطعام . . ص ١١

الْمَالَ ، وَلَا يَحْرِصُ عَلَى الْمَزِيدِ مِنْهُ ، إِلَّا لِيُنْفِقَهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاطِنِ ، الَّتِي أَنْفَقْتَ ثَرْوَتَكَ فِيهَا !!

فَوَضَعَ اللُّقْمَةَ مِنْ يَدِهِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَالدُّمُوعُ فِي عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

— لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ يَا أَرْوَى ، أَنَّنِي لَا أَحْزَنُ عَلَى شَيْءٍ صَنَعْتُهُ أَبَدًا .. وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَعْرُوفَ لَنْ يَضِيعَ عِنْدَ اللَّهِ ، إِذَا ضَاعَ عِنْدَ النَّاسِ !! وَلَكِنِّي أَحْزَنُ الْآنَ أَشَدَّ الْحُزْنِ ، لِأَنِّي أَرَاكِ تَعِيشِينَ هَذِهِ الْعِيشَةَ الْخَشِنَةَ الْقَاسِيَةَ ، بَعْدَ حَيَاةِ الْعِزِّ وَالنَّعِيمِ .. تَكْتَفِينَ بِالْأَكْلَةِ الْوَاحِدَةِ عَنِ الْأَكَلَاتِ ،

وَتلْبَسِينَ فِي الشِّتَاءِ مَلَابِسَ الصَّيْفِ ، وَتَعْمَلِينَ بِيَدِكِ مَا كَانَ يَعْمَلُهُ الْجَوَارِي وَالْغِلْمَانُ مِنْ قَبْلُ !!

وَفَرَّتْ مِنْ عَيْنِهِ دَمْعَةٌ سَاخِنَةٌ ، لَمْ يَسْتَطِعْ مَنْعَهَا ، وَاسْتَمَرَّ يَقُولُ :

ــ هَذَا هُوَ سَبَبُ حُزْنِي وَشَقَائِي يَا أَرْوَى .. أَمَّا مَا لَقِيتُهُ مِنَ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ ، فَهُوَ شَيْءٌ كُنْتُ أَعْرِفُهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ ، لِأَنَّهُ مِنْ طَبْعِ النَّاسِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَفِي كُلِّ بَلَدٍ ، وَفِي كُلِّ جِنْسٍ مِنْ أَجْنَاسِ الْبَشَرِ !!

نَعَمْ !! لَقَدْ سَاعَدُونِي فِي مِحْنَتِي ، وَمَدُّوا

إِلَى أَيْدِيهِمُ الْكَرِيمَةِ ، عِنْدَمَا كَانُوا يَرْجُونَ - كَمَا كُنْتُ أَرْجُو - أَنْ يُبَدِّلَ اللهُ حَالِي ، وَأَنْ يُعِيدَ إِلَيَّ أَيَّامَ الرَّخَاءِ وَالنَّعِيمِ .. وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ اسْتَمَرَّتْ ، وَطَالَ زَمَنُ الْعُسْرَةِ ، فَتَغَيَّرَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَانْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَفَرُّوا مِنْ لِقَائِي ، خَشْيَةَ أَنْ أَطْلُبَ الْمَزِيدَ مِنَ الْقُرُوضِ وَالْمُسَاعَدَاتِ ! !

وَنَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةً أُخْرَى وَرَاحَ يَقُولُ :

— آهِ يَا أَرْوَى ! ! إِنَّ الْإِنْسَانَ يَعِيشُ مَحْبُوبًا مِنَ النَّاسِ ، مَادَامَ فِي غِنًى عَنْهُمْ ، فَإِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِمْ كَرِهُوهُ وَنَفَرُوا مِنْهُ ! !

وَزَادَ بِهِ الْأَلَمُ ، فَأَدَارَ ظَهْرَهُ إِلَى الطَّعَامِ ، وَرَاحَ يَمْسَحُ دُمُوعَهُ بِطَرَفِ عَبَاءَتِهِ ! !

شَقَّ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ تَرَاهُ فِي هَذِهِ الْآلَامِ النَّفْسِيَّةِ ، فَابْتَسَمَتْ فِي وَجْهِهِ وَقَالَتْ وَكَأَنَّهَا تُعَاتِبُهُ :

ــ يَا لَلَّهِ ! ! إِنِّي مَا رَأَيْتُكَ فِي يَوْمٍ بَائِسًا ، كَمَا أَرَاكَ اللَّيْلَةَ يَا خُزَيْمَةُ ! ! فَلِمَاذَا تَتْرُكُ الْيَأْسَ يَسْتَوْلِي عَلَيْكَ وَيُهْلِكُكَ ؟ !

لَيْسَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ يَفْتَقِرُ فِيهَا إِنْسَانٌ بَعْدَ غِنًى . . وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ الْغِنَى لَا يَدُومُ ،

وَأَنَّ الْفَقْرَ لَا يَبْقَى . . وَلَنْ يَنْسَاكَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، لِأَنَّكَ مَا كُنْتَ تَنْسَى الْمُحْتَاجِينَ مِنْ عِبَادِهِ ! !

ثُمَّ غَيَّرَتْ نَبَرَاتِ صَوْتِهَا ، وَقَالَتْ بِصَوْتٍ يَبْعَثُ الْأَمَلَ فِي النَّفْسِ :

ـ أَمَا سَمِعْتَ يَا خُزَيْمَةُ عَنْ جُودِ خَلِيفَتِنَا سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ؟! لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ يُعْطِي الْكَثِيرَ ، وَيُعِينُ أَصْحَابَ الْمُرُوءَةِ عَلَى مُرُوءَتِهِمْ !! وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَعْرِفُ مِنْ أَخْبَارِ كَرَمِكَ مَا يَمْلَأُ نَفْسَهُ مَحَبَّةً لَكَ وَإِعْجَابًا بِكَ ، فَلَوْ أَنَّكَ وَصَلْتَ إِلَيْهِ ،

لَعُدْتَ مِنْ عِنْدِهِ فِي أَحْسَنِ حَالٍ وَأَكْرَمِ مَنْزِلَةٍ !!

تَنَفَّسَ خُزَيْمَةُ نَفَسًا طَوِيلًا ثَقِيلًا ، وَقَالَ :

ـ مَا نَسِيتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا جَهِلْتُ كَرَمَهُ وَفَيْضَ يَدِهِ يَا أَرْوَى ، وَلَكِنْ كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَيْهِ ، وَالطَّرِيقُ طَوِيلٌ وَعْرٌ ، وَلَا رَاحِلَةَ لَنَا نَرْكَبُهَا مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى دِمَشْقَ ؟!

فَقَالَتْ مُشَجِّعَةً :

ـ اقْتَرِضْ ثَمَنَ رَاحِلَةٍ يَا خُزَيْمَةُ ، وَلَا تَتَرَدَّدْ فِي زِيَارَةِ الْخَلِيفَةِ !!

فَأَجَابَهَا بِيَأْسٍ شَدِيدٍ :

— وَهَلْ تَظُنِّينَ أَنِّى أَجِدُ مَنْ يُقْرِضُنِى شَيْئًا ؟!
إِنَّ الدَّائِنِينَ يَسُدُّونَ عَلَىَّ مَسَالِكَ الطُّرُقِ أَيْنَمَا
سِرْتُ !!

ثُمَّ زَفَرَ زَفْرَةً مُحْرِقَةً وَقَالَ :

— كَلَّا يَا أَرْوَى !! لَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا مِمَّا تَقُولِينَ !!
لَقَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَ الْخَلَاصِ !! سَأُقْفِلُ الْبَابَ
وَأَبْقَى هُنَا ، إِلَى أَنْ يَأْتِىَ الْفَرَجُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ،
أَوْ أَمُوتَ جُوعًا !!

وَنَظَرَ إِلَيْهَا بِعَطْفٍ وَقَالَ :

— أَمَّا أَنْتِ فَفِى ثَرَاءِ أَهْلِكِ وَغِنَاهُمْ ،

مايَضْمَنُ لَكَ حَيَاةً كَرِيمَةً مِنْ بَعْدِى ! !

فَلَمَّا رَأَتْهُ يَكَادُ يَهْلِكُ مِنَ الْهَمِّ وَالْيَأْسِ، أَخَذَتْ يَدَهُ بِرِفْقٍ وَحَنَانٍ ، وَسَارَتْ بِهِ إِلَى الْفِرَاشِ وَهِىَ تَقُولُ :

— هَيَّا إِلَى النَّوْمِ ، فَقَدْ طَالَ بِنَا السَّهَرُ . . وَلَابُدَّ أَنْ يُفَرِّجَ اللهُ مانَحْنُ فِيهِ ، فَإِنَّ فَرَجَهُ قَرِيبٌ ، وَعَيْنَهُ سَاهِرَةٌ تَرْعَى الْعِبَادَ ! !

— ٢ —

وَكَانَ عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ وَالِياً لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْجَزِيرَةِ . وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ

يَسْمُرَ كُلَّ لَيْلَةٍ مَعَ أَشْرَافِ هَذِهِ الْوِلَايَةِ وَكِبَارِ رِجَالِهَا . . وَكَانَ يَحْرِصُ عَلَى ذَلِكَ كُلَّ الْحِرْصِ؛ لِيَعْرِفَ مِنْ جُلَسَائِهِ أَخْبَارَ الْوِلَايَةِ ، وَمَا يَجْرِي فِيهَا مِنْ صِغَارِ الْأُمُورِ وَكِبَارِهَا ! !

وَفِي ذَاتِ لَيْلَةٍ ذَكَرَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ خُزَيْمَةَ بْنَ بِشْرٍ ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ :

— ذَكَّرْتُمُونِي خُزَيْمَةَ . . فَقَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ مُنْذُ انْقَطَعَ عَنْ مَجْلِسِنَا هَذَا . . وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مَوَاقِفُ نَبِيلَةٌ ، يَبْلُغُ فِيهَا ذِرْوَةَ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ ، وَكَانَتْ فِيهِ وَجَاهَةٌ تَزِينُ

كُلَّ مَجْلِسٍ يَجْلِسُ فِيهِ !! فَمَاذَا غَيَّرَهُ عَلَيْنَا ؟؟

وَمَاذَا أَغْضَبَهُ مِنَّا ؟؟

فَقَالَ الْمُتَحَدِّثُ :

ــ كَلَّا أَيُّهَا الْأَمِيرُ . مَا تَغَيَّرَ خُزَيْمَةُ وَلَا غَضِبَ ، وَلَكِنَّهُ فِي عُسْرٍ وَشِدَّةٍ مِنْ قِلَّةِ الْمَالِ ، وَضِيقِ ذَاتِ الْيَدِ !!

وَقَصَّ عَلَيْهِ كُلَّ مَا عَلِمَ مِنْ أَمْرِهِ !!

فَظَهَرَ الْأَسَفُ وَالْأَسَى فِي وَجْهِ عِكْرِمَةَ ، وَقَالَ :

ــ وَا أَسَفَاهُ !! مَاتَتِ الْمُرُوءَةُ فِي نُفُوسِ

الرِّجَالِ ! !

خُزَيْمَةُ الَّذِى مَلَأَ مَعْرُوفُهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ، وَعَمَّ جُودُهُ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، يَقْضِى حَيَاتَهُ حَبِيسَ الدَّارِ ! !

قَالَ عِكْرِمَةُ ذٰلِكَ، وَلَزِمَ الصَّمْتَ إِلَى آخِرِ الْمَجْلِسِ ! !

٭ ٭ ٭

تَفَرَّقَ الْحَاضِرُونَ، وَانْتَظَرَ عِكْرِمَةُ حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ، وَسَكَنَتِ الْحَرَكَةُ فِى طُرُقِ الْمَدِينَةِ، وَقَامَ إِلَى خِزَانَتِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا أَرْبَعَةَ

آلافِ دِينارٍ ، وَوَضَعَها فِي كِيسٍ كَبِيرٍ ، وَتَنَكَّرَ فِي مَلابِسَ خَفِيَّةٍ ، وَأَمَرَ غُلامَهُ بِأَنْ يُسْرِجَ جَوادَهُ وَيَسْتَعِدَّ لِلْخُرُوجِ ! !

سارَ عِكْرِمَةُ وَمِنْ وَرائِهِ الْغُلامُ يَحْمِلُ الْكِيسَ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى بابِ الْحَيِّ الَّذِي يَسْكُنُ فِيهِ خُزَيْمَةُ ، فَنَزَلَ مِنْ فَوْقِ الْجَوادِ ، وَأَخَذَ الْكِيسَ مِنَ الْغُلامِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقِفَ بِالْجَوادِ حَيْثُ هُوَ ، وَتَقَدَّمَ يَحْمِلُ الْكِيسَ وَحْدَهُ إِلَى دارِ خُزَيْمَةَ ! !

وَهُناكَ طَرَقَ الْبابَ بِرِفْقٍ حَتَّى لا يَسْمَعَهُ أَحَدٌ غَيْرُ سُكَّانِ الدَّارِ ، فَهَبَّ خُزَيْمَةُ مِنْ نَوْمِهِ

مَفْزُوعاً ، وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّ أَحَدَ الدَّائِنِينَ ، جاءَ يَطْلُبُ مِنْهُ سَدادَ ما أَخَذَهُ .. وَاتَّجَهَ إِلَى الْبَابِ وَهُوَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ :

ـــ تَاللهِ إِنَّهُ لَكَرِيمُ الْخُلُقِ ، إِذْ جاءَ تَحْتَ سِتارِ اللَّيْلِ ، لِكَيْلا يَفْضَحَنا بَيْنَ النَّاسِ !! وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ لِي ما أَدْفَعُهُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ خَلَتِ الدَّارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الْأَثاثِ وَالْفِراشِ ؟! أَلا فَلْيَرْحَمْنا اللَّهُ !!

قالَ هٰذِهِ الْجُمْلَةَ الْأَخِيرَةَ ، وَيَدُهُ تُحَرِّكُ الْمِفْتاحَ .. وَإِذا بِهِ يَجِدُ أَمامَهُ رَجُلاً



وتركه فى موقفه حائرا .. ص ٢٤

مُتَخَفِّيًا ، لَا يَكَادُ يَظْهَرُ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَهُوَ يَمُدُّ إِلَيْهِ يَدَهُ بِكِيسٍ ثَقِيلٍ ، وَيَقُولُ لَهُ :

— السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خُزَيْمَةُ !! خُذْ هَذَا وَأَصْلِحْ بِهِ شَأْنَكَ ، وَدَبِّرْ بِهِ أُمُورَكَ ، فَمِثْلُكَ يَا خُزَيْمَةُ يَجِبُ أَنْ يُعَانَ وَيُسَاعَدَ عَلَى مُرُوءَتِهِ !!

أَمْسَكَ خُزَيْمَةُ الْكِيسَ بِيَمِينِهِ وَأَمْسَكَ يَدَ الرَّجُلِ بِشِمَالِهِ وَقَالَ :

— شُكْرًا لَكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْجَوَادُ .. وَلَكِنْ مَنْ أَنْتَ ؟؟ وَأَيْنَ تُقِيمُ ؟؟

فَأَجَابَهُ عِكْرِمَةُ وَقَدِ اجْتَهَدَ أَنْ يُغَيِّرَ مِنْ

نَبَرَاتِ صَوْتِهِ ، كَمَا غَيَّرَ مِنْ هَيْئَتِهِ :

— مَا جِئْتُكَ يَا خُزَيْمَةُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، وَبِهَذِهِ الصُّورَةِ ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ مَنْ أَنَا ! !

أَعَادَ خُزَيْمَةُ الْكِيسَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ :

— سَيِّدِي . . لَنْ أَمُدَّ يَدِي إِلَى هَدِيَّتِكَ إِلَّا إِذَا عَرَفْتُ مَنْ أَنْتَ ، فَإِنْ كُنْتَ حَقًّا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ مَعِي جَمِيلًا ، فَاذْكُرِ اسْمَكَ ، فَإِنَّ مَعْرِفَتِي لَكَ خَيْرٌ عِنْدِي مِنْ كُلِّ هَدِيَّةٍ ! !

فَقَالَ عِكْرِمَةُ وَهُوَ يُعِيدُ الْكِيسَ إِلَى يَدِ خُزَيْمَةَ :

ـ مَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ تَتَمَسَّكَ بِهَذَا الْمَطْلَبِ الْعَسِيرِ الشَّاقِّ ، وَلَكِنْ لَكَ مَا تُرِيدُ يَا خُزَيْمَةُ .. أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ ! !

وَتَرَكَهُ فِي مَوْقِفِهِ حَائِراً ، وَانْطَلَقَ يَحُثُّ الْخُطَى إِلَى حَيْثُ يَقِفُ الْغُلَامُ ! !

و و و

حَمَلَ خُزَيْمَةُ الْكِيسَ ، وَرَجَعَ بِهِ إِلَى زَوْجَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ :

ـ جَاءَ الْفَرَجُ يَا بِنْتَ الْعَمِّ !! هَيَّا أَوْقِدِي الْمِصْبَاحَ لِنَرَى مَا فِي الْكِيسِ . إِنَّهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ ..

أَكْثَرُ مِمَّا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ ! !

فَأَجَابَتْهُ بِفَرْحَةٍ :

— أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : إِنَّ عَيْنَ اللَّهِ لَا تَغْفُلُ عَنَّا ، وَإِنَّ رَحْمَتَهُ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ! !

وَأَرَادَتْ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ مِصْبَاحٍ ، وَلَكِنَّهَا تَذَكَّرَتْ أَنَّ بَيْتَهُمْ لَيْسَ فِيهِ مِصْبَاحٌ وَلَا شُعْلَةٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ زَيْتٌ وَلَا وَقُودٌ ، فَجَلَسَتْ بِجِوَارِهِ ، وَرَاحَا يَلْمِسَانِ الْكِيسَ وَيَقُولَانِ بِسُرُورٍ وَفَرَحٍ :

— إِنْ كَانَ مَا فِيهِ دَرَاهِمَ عِشْنَا بِهَا فِي كَفَافٍ وَغِنًى عَنِ النَّاسِ ، وَإِنْ كَانَتْ دَنَانِيرَ قَضَيْنَا

حَيَاتَنَا فِي نَعِيمٍ وَرَخَاءٍ !!

وَوَضَعَا الْكِيسَ أَمَامَهُمَا وَقَامَا يُصَلِّيَانِ

صَلَاةَ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَزِيلَةِ !!

— ٣ —

اِسْتَيْقَظَتْ سَلْمَى بِنْتُ الشَّرِيدِ مِنْ نَوْمِهَا ، عَلَى وَقْعِ أَقْدَامٍ تَتَنَقَّلُ بِحَذَرٍ وَخِفَّةٍ فِي حُجْرَتِهَا ، وَأَوْشَكَتْ أَنْ تَصِيحَ مِنَ الذُّعْرِ وَالْخَوْفِ :

— أَدْرِكْنِي يَا عِكْرِمَةُ !!

وَلَكِنَّهَا قَبْلَ أَنْ تَنْفَرِجَ شَفَتَاهَا عَنْ هَذِهِ الصَّيْحَةِ ، رَأَتْ عِكْرِمَةَ يَمْشِي عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ ،

وَيَخْلَعُ اللِّثَامَ الَّذِى كَانَ يَسْتَخْفِى بِهِ عَنِ الْأَعْيُنِ، وَيُلْقِيهِ عَلَى مِشْجَبٍ قَرِيبٍ مِنَ السَّرِيرِ ! !

فَقَفَزَتْ مِنْ فِرَاشِهَا ، وَوَقَفَتْ أَمَامَهُ وَجْهًا لِوَجْهٍ ، وَرَاحَتْ تَقُولُ بِحِدَّةٍ وَغَضَبٍ ، وَقَدْ أَثَارَتِ الْغَيْرَةُ شُكُوكَهَا :

— أَيْنَ كُنْتَ يَاعِكْرِمَةُ فِى هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ ؟؟ وَلِمَاذَا تَخَفَّيْتَ وَتَنَكَّرْتَ ؟؟

أَدْرَكَ عِكْرِمَةُ مَا يَدُورُ بِنَفْسِهَا مِنَ الْخَوَاطِرِ ، فَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً هَادِئَةً ، وَوَضَعَ ذِرَاعَهُ عَلَى كَتِفَيْهَا ، وَقَالَ وَهُوَ يُدَاعِبُ ذَقَنَهَا بِأَنَامِلِ يَدِهِ

الأُخْرَى :

— اِطْمَئِنِّي يَاسَلْمَى ، فَقَدْ خَرَجْتُ لِشَأْنٍ مِنْ شُئُونِ الرَّعِيَّةِ !!

وَلَكِنَّهَا انْفَلَتَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَزَادَتْ ثَوْرَتُهَا ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهَا وَقَالَتْ مُرَدِّدَةً كَلامَهُ :

— " خَرَجْتُ لِشَأْنٍ مِنْ شُئُونِ الرَّعِيَّةِ " !!

ثُمَّ قَالَتْ وَكَأَنَّهَا تَسْخَرُ :

— أَتَظُنُّ أَنَّنِي أَجْهَلُ أَيْنَ كُنْتَ أَيُّهَا الْوَالِي ؟!

جَلَسَ عِكْرِمَةُ عَلَى أَقْرَبِ مَقْعَدٍ مِنْهُ ، وَعَاوَدَتْهُ الِابْتِسَامَةُ ، وَقَالَ مُدَاعِبًا :

ـ وَأَيْنَ كُنْتُ إِذَنْ ، مَادُمْتِ لَا تَجْهَلِينَ ؟!

فَاخْتَنَقَ صَوْتُهَا بِالْغَضَبِ ، وَأَمْسَكَتْ لَحْظَةً عَنِ الْكَلَامِ ، ثُمَّ عَادَتْ تَقُولُ :

ـ وَالِي الْجَزِيرَةِ ، يَخْرُجُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَيْسَ مَعَهُ حَرَسٌ وَلَا سِلَاحٌ ، وَهُوَ مُتَخَفٍّ مُتَنَكِّرٌ ، دُونَ عِلْمٍ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ لِأَمْرٍ مُرِيبٍ !! هَلْ فِي الدُّنْيَا عَاقِلٌ يُصَدِّقُ هَذَا ؟! لَا .. لَا .. أَرِحْنِي يَاعِكْرِمَةُ وَقُلْ : إِنَّكَ خَرَجْتَ لِزَوْجَتِكَ الثَّانِيَةِ !!

ثُمَّ قَالَتْ بِغَيْرَةٍ وَسُخْرِيَةٍ :

ــ وَلَوْ أَنَّكَ أَخْبَرْتَنِي مِنْ قَبْلُ ، خَبَرَ زَوَاجِكَ الْجَدِيدِ ، لَدَبَّرْتُ لَكَ أَمْرَ اللِّقَاءِ وَالزِّيَارَةِ ، وَأَرَحْتُكَ مِنْ هَذَا التَّنَكُّرِ وَالْعَنَاءِ !!

ضَحِكَ عِكْرِمَةُ ضِحْكَةً صَافِيَةً ، وَقَالَ :

ــ بِحَيَاتِكِ يَاسَلْمَى مَا كَانَ شَيْءٌ مِمَّا تَظُنِّينَ . . وَإِنَّكِ لَتَعْلَمِينَ أَنَّ قَلْبِي لَا يَتَّسِعُ لِامْرَأَةٍ أُخْرَى مَعَ بِنْتِ الشَّرِيدِ ، مَهْمَا يَكُنْ شَأْنُهَا . . وَلَكِنِّي خَرَجْتُ لِأَمْرٍ لَا أُحِبُّ أَنْ يَعْرِفَهُ أَحَدٌ سِوَايَ !!

شَعَرَتْ سَلْمَى بِصِدْقِ قَوْلِهِ ، وَسَأَلَتْ

دُمُوعَهَا مِنَ الْفَرَحِ ، وَلَكِنَّهَا رَغِبَتْ فِي مَعْرِفَةِ هَذَا السِّرِّ الْخَطِيرِ ، فَقَالَتْ :

ـ لَسْتُ أَحَدًا سِوَاكَ يَا عِكْرِمَةُ حَتَّى تَطْوِيَ عَنِّي هَذَا السِّرَّ . . فَأَنَا أَنْتَ ، وَسِرُّكَ سِرِّي ، فَلِمَاذَا تَتْرُكُنِي لِهَذِهِ الْغَيْرَةِ الَّتِي تُمَزِّقُ قَلْبِي ؟ ! قُلْ يَا عِكْرِمَةُ وَأَرِحْنِي مِنْ كُلِّ شَكٍّ وَظَنٍّ ! !

فَقَالَ لَهَا :

ـ وَتَكْتُمِينَ مَا أَقُولُ ؟ !

فَأَجَابَتْ :

— وَهَلْ كَانَ مِنِّى غَيْرُ الْكِتْمَانِ فِى كُلِّ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِكَ ؟!

وَعِنْدَئِذٍ أَخْبَرَهَا بِقِصَّةِ خُزَيْمَةَ ، وَبِكُلِّ مَا صَنَعَهُ مَعَهُ ، فَوَجَدَتْ فِى نَفْسِهَا رَاحَةً وَسَعَادَةً لَمْ تَشْعُرْ بِمِثْلِهِمَا قَطُّ ، وَقَالَتْ وَهِىَ تَهْتَزُّ مِنَ الطَّرَبِ :

— أَعَانَكَ اللهُ عَلَى فِعْلِ الْمَكْرُمَاتِ يَا عِكْرِمَةُ . فَمِنْ أَجْلِ هٰذَا سَمَّاكَ النَّاسُ الْفَيَّاضَ !!

٭ ٭ ٭

أَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَيْمَةَ وَزَوْجَتِهِ ، فَإِنَّهُمَا

قَضَيَا لَيْلَتَهُمَا فِي سُرُورٍ وَسَعَادَةٍ .. وَمَا كَادَتْ أَضْوَاءُ الصَّبَاحِ تَنْتَشِرُ فِي الْأُفُقِ، وَتُبَدِّدُ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ، حَتَّى أَفْرَغَ خُزَيْمَةُ مَا فِي الْكِيسِ، وَأَخَذَ يَعُدُّ وَيَعُدُّ ثُمَّ صَاحَ بِدَهْشَةٍ :

ــ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ !! أَرْبَعَةُ آلَافٍ !!

وَتَنَفَّسَ نَفَسًا عَمِيقًا، وَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى الْحَائِطِ وَقَالَ :

ــ الْآنَ اسْتَرَحْتُ يَا أَرْوَى !! لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ جَابِرَ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ وَاحِدٌ مِنَ الْبَشَرِ . وَعَاهَدْتُ نَفْسِي أَنْ أَبْحَثَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ،

حَتَّى أَكْشِفَ أَمْرَهُ ، وَأَعْرِفَ حَقِيقَتَهُ ، لِأَرُدَّ إِلَيْهِ هَذَا الْجَمِيلَ الْكَبِيرَ . أَمَّا الْآنَ فَقَدْ تَأَكَّدَ عِنْدِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سُكَّانِ هَذِهِ الْأَرْضِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَلَكٌ مِنْ سُكَّانِ السَّمَاءِ ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِيُنْقِذَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ . . فَمَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ أَنَّ إِنْسَانًا جَادَتْ نَفْسُهُ بِمِثْلِ هَذَا الْعَطَاءِ الضَّخْمِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ .

فَهَزَّتْ زَوْجَتُهُ رَأْسَهَا وَهِيَ تَقُولُ :

— نَعَمْ هَذِهِ رَحْمَةٌ مِنَ السَّمَاءِ . . وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ جَابِرَ الْعَثَرَاتِ ! !

٥ ٥ ٥

أَحْصَى خُزَيْمَةُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدُّيُونِ ، وَخَرَجَ إِلَى الدَّائِنِينَ وَأَعَادَ إِلَيْهِمْ مَا اقْتَرَضَهُ مِنْهُمْ مَصْحُوبًا بِشُكْرِهِ ، وَاعْتِرَافِهِ بِفَضْلِهِمْ عَلَيْهِ . ثُمَّ جَدَّدَ مَلَابِسَهُ وَمَلَابِسَ زَوْجَتِهِ ، وَأَصْلَحَ مِنْ شُئُونِهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى إِصْلَاحٍ ، وَاشْتَرَى رَاحِلَتَيْنِ وَبَعْضَ الْغِلْمَانِ . . وَسَارَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي دِمَشْقَ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَطْلُبَ عَمَلًا عِنْدَهُ ، لِأَنَّهُ صَارَ يَكْرَهُ أَنْ يَعِيشَ بِدُونِ عَمَلٍ .

٥ ٥ ٥

دَخَلَ الْحَاجِبُ عَلَى سُلَيْمَانَ وَهُوَ يَقُولُ :

ـــ رَجُلٌ ذُو هَيْئَةٍ وَوَجَاهَةٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اسْمُهُ خُزَيْمَةُ بْنُ بِشْرٍ ، يَطْلُبُ الإِذْنَ بِالدُّخُولِ !!

فَقَالَ سُلَيْمَانُ :

ـــ وَيْحَكَ يَا غُلَامُ !! هَذَا كَرِيمُ الْجَزِيرَةِ . عَجِّلْ بِالإِذْنِ لَهُ ، وَلَا تَتْرُكْهُ وَاقِفاً مَعَ الشُّعَرَاءِ وَأَصْحَابِ الْحَاجَاتِ !!

وَقَفَ خُزَيْمَةُ أَمَامَ سُلَيْمَانَ بِأَدَبٍ بَعْدَ أَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلَامِ ، فَهَشَّ سُلَيْمَانُ فِي وَجْهِهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ بِحَفَاوَةٍ وَإِكْرَامٍ ، وَقَالَ لَهُ :



وقص عليه كل ما حدث معه .. ص ٣٨

ـ كُنَّا نُحِبُّ أَنْ نَرَاكَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ يَا خُزَيْمَةُ ، فَلِمَاذَا قَعَدْتَ عَنْ زِيَارَتِنَا ؟

فَأَجَابَ خُزَيْمَةُ وَهُوَ لَا يَزَالُ وَاقِفًا :

ـ أَيَّدَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِهِ ، وَأَعْلَى رَايَتَهُ فَوْقَ الرَّايَاتِ . . إِنَّنِي مَا قَعَدْتُ عَنِ التَّشَرُّفِ بِزِيَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِعَجْزٍ مَنَعَنِي . وَلَقَدْ مَرَّتْ بِي أَيَّامٌ شِدَادٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كُنْتُ أَرَى فِيهَا الْمَوْتَ خَيْرًا مِنَ الْحَيَاةِ !!

وَقَصَّ عَلَيْهِ كُلَّ مَا حَدَثَ مَعَهُ !!

فَقَالَ سُلَيْمَانُ بِعَجَبٍ وَدَهْشَةٍ :

ـ لَيْتَكَ عَرَفْتَ جَابِرَ الْعَثَرَاتِ ، ذَلِكَ الْإِنْسَانَ الْكَرِيمَ . . إِنَّهُ أَحَقُّ النَّاسِ بِالتَّقْدِيرِ وَالْإِكْرَامِ. وَلَوْ عَرَفْنَاهُ لَكَافَأْنَاهُ عَلَى هَذِهِ الْمُرُوءَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مَثِيلٌ !!

ثُمَّ قَالَ بِاسْتِنْكَارٍ :

ـ وَكَيْفَ حَدَثَ لَكَ كُلُّ هَذَا ، وَعِكْرِمَةُ يَرَى وَيَسْمَعُ ؟! إِنْ كَانَ قَدْ جَهِلَ مَا أَصَابَكَ مِنْ شِدَّةٍ ، كَانَ مُتَّهَماً بِالتَّقْصِيرِ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِلرَّعِيَّةِ الَّتِي يَرْعَاهَا فِي وِلَايَتِهِ . وَإِنْ كَانَ قَدْ عَلِمَ وَلَمْ يَمْدُدْ إِلَيْكَ يَدَ الْمُسَاعَدَةِ ، كَانَ مُتَّهَماً

بِالْبُخْلِ .. وَهُوَ فِي كِلْتَا الْحَالَيْنِ لَا يَصْلُحُ لِعَمَلِهِ !!

وَدَعَا الْكَاتِبَ وَأَمَرَهُ أَنْ يُعِدَّ قَرَارًا بِعَزْلِ عِكْرِمَةَ،

وَتَوْلِيَةِ خُزَيْمَةَ مَكَانَهُ !!

— ٤ —

سَارَ خُزَيْمَةُ وَهُوَ فِي مَوْكِبِ الْوَالِي الْفَخْمِ ،

وَسَبَقَهُ الرُّسُلُ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، يَحْمِلُونَ خَبَرَ

تَوْلِيَتِهِ !!

فَخَرَجَ عِكْرِمَةُ وَأَشْرَافُ الْمَدِينَةِ يَسْتَقْبِلُونَهُ

عَلَى الْحُدُودِ ، وَيُبَالِغُونَ فِي الْحَفَاوَةِ بِهِ .. وَسَارَ

بَيْنَهُمْ فِي أُبَّهَةٍ وَعَظَمَةٍ ، حَتَّى دَخَلَ قَصْرَ

الْإِمارَةِ ، وَجلس عَلى الْكُرْسِيِّ الْمُعَدِّ لِلْأَمِيرِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلى رَئِيسِ الشُّرْطَةِ وَقالَ وَهُوَ يُشيرُ إِلى عِكْرِمَةَ :

ـــ خُذْهُ وَشَدِّدْ عَلَيْهِ الْحِراسَةَ ، حَتَّى نُحاسِبَهُ عَلى ما جَمَعَهُ مِنْ أَمْوالِ الْوِلايَةِ .. وَإِيّاكَ أَنْ يُفْلِتَ مِنْ يَدِكَ ، فَإِنَّ رَأْسَكَ سَيَطِيرُ مِنْ فَوْقِ كَتِفَيْكَ !!

لَمْ يَجْزَعْ عِكْرِمَةُ وَلَمْ يَضْطَرِبْ ، بَلْ سارَ مَعَ رَئِيسِ الشُّرْطَةِ ، ثابِتَ الْخُطَى ، ثابِتَ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ !!

قَضَى خُزَيْمَةُ أَيَّامًا يُصَرِّفُ شُئُونَ الْوِلَايَةِ، ثُمَّ فَرَغَ لِحِسَابِ عِكْرِمَةَ . . وَكَانَ حِسَابًا عَسِيرًا شَاقًّا ، كَشَفَ عَنْ نَقْصٍ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، قَدْرُهُ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعِيدَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ مَا نَقَصَ . . وَلَكِنَّ عِكْرِمَةَ اعْتَذَرَ بِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا ! !

لَمْ يَجِدْ خُزَيْمَةُ مَفَرًّا مِنْ عِقَابِ عِكْرِمَةَ ، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقَى فِي السِّجْنِ ، وَأَنْ يُقَيَّدَ بِالسَّلَاسِلِ الثَّقِيلَةِ ، وَأَنْ تُنْزَعَ عَنْهُ مَلَابِسُهُ الرَّقِيقَةُ ، وَيُبْدَلَ مِنْهَا خَشِنَ الثِّيَابِ .

وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْقَسْوَةَ سَتَحْمِلُ عِكْرِمَةَ عَلَى إِخْرَاجِ مَا يُخْفِيهِ مِنْ أَمْوَالٍ . . وَلَكِنَّ عِكْرِمَةَ تَقَبَّلَ كُلَّ ذَلِكَ بِصَبْرِ الرَّجُلِ الْكَرِيمِ النَّفْسِ ، وَلَمْ يَنْطِقْ لِسَانُهُ بِشَكْوَى ، وَلَمْ يَكْشِفْ سِرَّهُ مَعَ خُزَيْمَةَ لِأَحَدٍ .

طَالَ سِجْنُ عِكْرِمَةَ وَسَاءَتْ حَالُهُ ، وَخَشِيَتْ زَوْجَتُهُ أَنْ يُصِيبَهُ التَّلَفُ ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا :

– لَأُخَالِفَنَّ الْعَهْدَ الَّذِى عَاهَدْتُهُ عَلَيْهِ ! !

وَدَعَتْ جَارِيَةً ذَكِيَّةً وَقَالَتْ لَهَا :

– اِذْهَبِى إِلَى قَصْرِ خُزَيْمَةَ ، وَاطْلُبِى الإِذْنَ

عَلَيْهِ ، وَقُولِي : مَعِي كَلَامٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْأَمِيرُ وَحْدَهُ . فَإِذَا خَلَوْتِ بِهِ فَعَرِّفِيهِ بِنَفْسِكِ وَقُولِي لَهُ :

— لَيْسَ هَذَا جَزَاءَ جَابِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ !!

۶ ۶ ۶

سَمِعَ خُزَيْمَةُ كَلِمَةَ الْجَارِيَةِ ، وَهَبَّ وَاقِفاً صَائِحاً كَأَنَّمَا لَدَغَتْهُ حَيَّةٌ رَقْطَاءُ وَهُوَ يَقُولُ :

— يَاسَوْءَتَاهُ ! ! يَافَضِيحَتَاهُ ! ! إِذَنْ هُوَ عِكْرِمَةُ ! ! يَاسُوءَ جَزَائِي لَهُ !! يَالُؤْمَ

نَفْسِي وَخِسَّةَ طَبْعِي ! !

وَقَامَ مِنْ سَاعَتِهِ وَرَكِبَ إِلَى السِّجْنِ هُوَ وَأَشْرَافُ الْمَدِينَةِ ، وَدَخَلُوا عَلَى عِكْرِمَةَ ، فَرَأَوْهُ فِي شَرِّ حَالٍ . . جِسْمٍ هَزِيلٍ ، وَلَوْنٍ أَصْفَرَ ، وَمَلَابِسَ خَشِنَةٍ وَسِخَةٍ ! ! فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمْ عِكْرِمَةُ خَجِلَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ ، وَأَطْرَقَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ . . وَعَرَفَ خُزَيْمَةُ مَا بِنَفْسِهِ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ وَانْحَنَى عَلَى رَأْسِهِ وَأَخَذَ يُقَبِّلُهُ وَبَكَى ! !

فَدَهِشَ عِكْرِمَةُ وَقَالَ :

ـــ مَا الَّذِى دَعَاكَ إِلَى هَذَا الْعَمَلِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ؟!

فَأَجَابَ خُزَيْمَةُ :

ـــ كَرَمُ فِعْلِكَ ، وَسُوءُ مُكَافَأَتِى !!

فَقَالَ عِكْرِمَةُ :

ـــ سَامَحَكَ اللَّهُ ، وَغَفَرَ لِى وَلَكَ ..

إِنَّكَ مَا فَعَلْتَ إِلَّا مَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ الْوَالِى الْحَرِيصُ عَلَى مَالِ الْمُسْلِمِينَ !!

فَدَعَا خُزَيْمَةُ الْحَدَّادَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ قُيُودَ عِكْرِمَةَ ، وَأَنْ يُقَيِّدَهُ هُوَ مَكَانَهُ ،

فَقَالَ عِكْرِمَةُ :

ـ وَلِمَ ذَلِكَ أَيُّهَا الأَمِيرُ ؟ !

فَأَجَابَ :

ـ إِنَّ نَفْسِى لاَ تَطِيبُ وَلاَ تَهْدَأُ إِلاَّ إِنْ نَالَنِى مِنْ أَلَمِ الْقَيْدِ وَالْحَبْسِ مِثْلُ الَّذِى نَالَكَ مِنْهُمَا .

فَقَالَ عِكْرِمَةُ :

ـ أَحْلِفُ عَلَيْكَ بِاللّهِ أَلاَّ تَفْعَلَ ! !

* * *

وَخَرَجُوا مِنَ السِّجْنِ وَسَارُوا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى دَارِ خُزَيْمَةَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى دَارِهِ ، وَلَكِنَّ خُزَيْمَةَ أَبَى وَقَالَ :

ـــ لَنْ تعودَ إلى دَارِكَ وَأَنْتَ فِي هَذِهِ الْحَالِ ؛ فَإِنَّ خجلي مِنْ بِنْتِ عَمِّكَ أَشَدُّ مِنْ خَجَلِي مِنْكَ !!

وَدَخَلا الْقَصْرَ وَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِإِعْدادِ الْحَمَّامِ الْفَخْمِ . وَرَاحَ يَخْدُمُ عِكْرِمَةَ بِنَفْسِهِ ، وَيُشْرِفُ عَلَى حَمَّامِهِ . ثُمَّ أَلْبَسَهُ أَفْخَرَ الثِّيَابِ ، وَجَلَسَ مَعَهُ عَلَى مَائِدَةٍ تَجْمَعُ مَا لَذَّ وَطَابَ مِنَ الطَّعَامِ . وَأَمَرَ بِأَمْوالٍ كَثِيرَةٍ وَهَدَايَا غَالِيَةٍ ، فَحُمِلَتْ إِلَى دَارِهِ مَعَ رَسُولٍ يَزُفُّ الْبُشْرَى لِزَوْجَتِهِ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ اسْتَقْبَلَتْ دَارُ عِكْرِمَةَ سَيِّدَهَا الْعَظِيمَ بِفَرْحَةٍ مَا بَعْدَهَا فَرْحَةٌ ، وَازْدَحَمَتْ

بِأَفْوَاجِ الْمُهَنِّئِينَ الْقَادِمِينَ مِنْ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ فِي الْمَدِينَةِ .

***

وَفِي إِحْدَى الْحُجُرَاتِ جَلَسَ خُزَيْمَةُ وَعِكْرِمَةُ ، وَأَخَذَ خُزَيْمَةُ يُخَاطِبُ زَوْجَةَ عِكْرِمَةَ وَهِيَ جَالِسَةٌ وَرَاءَ سِتَارٍ ، وَيَقُولُ لَهَا :

ــ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكِ مِمَّا حَدَثَ يَا بِنْتَ الْعَمِّ ، وَلَكِنِّي أَعْتِبُ عَلَيْكِ أَشَدَّ الْعِتَابِ ؛ لِأَنَّكِ تَرَكْتِنِي أَفْعَلُ مَعَ عِكْرِمَةَ مَا فَعَلْتُ ، وَكُنْتِ تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تُنْقِذِينِي مِنْ هَذِهِ الْفَعْلَةِ الْخَسِيسَةِ !!

فَأَجَابَتْ :

ــ كُنْتُ أَخْشَى غَضَبَهُ يَاخُزَيْمَةُ .. وَإِنِّي مَازِلْتُ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ غَاضِبًا عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ ، لِأَنِّي خَالَفْتُ مَا عَاهَدْتُهُ عَلَيْهِ ! !

وَأَرْجُوكَ يَاخُزَيْمَةُ أَنْ تَشْفَعَ لِي عِنْدَهُ ، وَأَنْ تَطْلُبَ لِي مِنْهُ الصَّفْحَ وَالْعَفْوَ ! !

فَقَالَ عِكْرِمَةُ بِصَوْتٍ هَادِئٍ رَزِينٍ :

ــ غَفَرَ اللَّهُ لَنَا جَمِيعًا ! !

ــ ٥ ــ

قَضَى عِكْرِمَةُ مَعَ أَهْلِهِ أَيَّامًا صَافِيَةً مِنَ



وجلس معه على مائدة تجمع ما لذ وطاب . ص ٤٨

الأَكْدَارِ ، وَفَرَغَ مِنِ اسْتِقْبَالِ الْمُهَنِّئِينَ وَالضُّيُوفِ ، وَلَمْ يَنْقَطِعْ خُزَيْمَةُ عَنْ زِيَارَتِهِ فِي كُلِّ هٰذِهِ الأَيَّامِ .

وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي ، اقْتَرَحَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْكَبَ مَعَهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَقَبِلَ الاقْتِرَاحَ وَأَخَذَا يَسْتَعِدَّانِ لِلسَّفَرِ .

وَصَلَ رَكْبُهُمَا إِلَى قَصْرِ سُلَيْمَانَ ، وَدَخَلَ الْحَاجِبُ يَسْتَأْذِنُ لِخُزَيْمَةَ فِي الدُّخُولِ . .

وَكَانَتِ الْجَزِيرَةُ تُجَاوِرُ بِلَادَ الرُّومِ ، وَالْمَعَارِكُ الْحَرْبِيَّةُ وَالْغَارَاتُ لَا تَنْقَطِعُ فِيهَا بَيْنَ الْعَرَبِ

وَالرُّومِ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ اسْمَ خُزَيْمَةَ ، ارْتَبَكَ وَقَالَ :

— وَالِي الْجَزِيرَةِ يَتْرُكُ وِلَايَتَهُ ، وَيَجِيءُ إِلَيْنَا بِدُونِ طَلَبٍ مِنَّا ؟ ! لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ فِي الْوِلَايَةِ حَدَثٌ خَطِيرٌ ! !

ثُمَّ قَالَ لِلْحَاجِبِ :

— أَدْخِلْهُ وَعَجِّلْ ! !

وَمَا كَادَ خُزَيْمَةُ يَقِفُ أَمَامَ سُلَيْمَانَ ، حَتَّى سَأَلَهُ سُلَيْمَانُ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُ التَّحِيَّةَ :

— مَاذَا وَرَاءَكَ يَاخُزَيْمَةُ ؟ ؟ وَلِمَاذَا جِئْتَ دُونَ دَعْوَةٍ مِنَّا ؟

فَابْتَسَمَ خُزَيْمَةُ ابْتِسَامَةً أَعَادَتْ الاطْمِئْنَانَ إِلَى قَلْبِ سُلَيْمَانَ وَقَالَ :

— خَيْرٌ يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! !

فَقَالَ سُلَيْمَانُ :

— هَلْ أَحْرَزَتْ جُيُوشُكَ نَصْراً جَدِيداً فِي بِلَادِ الرُّومِ يَاخُزَيْمَةُ ، فَجِئْتَ تَزُفُّ إِلَيْنَا بُشْرَى هَذَا النَّصْرِ ؟ !

فَأَجَابَ خُزَيْمَةُ :

ـــ إِنَّنِى جِئْتُ أُبَشِّرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرٍ أَكْبَرَ مِنَ النَّصْرِ فِى الْحُرُوبِ وَالْقِتَالِ . . جِئْتُ أُبَشِّرُهُ بِأَنِّى عَثَرْتُ عَلَى جَابِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ ! !

فَطَرِبَ سُلَيْمَانُ حَتَّى وَقَفَ مِنْ فَوْقِ مَقْعَدِهِ، وَقَالَ بِلَهْفَةٍ :

ـــ حَقًّا وَجَدْتَهُ وَعَرَفْتَ طَرِيقَهُ يَا خُزَيْمَةُ ؟! مَنْ هُوَ ؟ وَأَيْنَ كَانَ ؟

فَقَالَ خُزَيْمَةُ :

ـــ وَحَيَاتِكَ قَدْ وَجَدْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . . وَإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى بَابِكَ الْآنَ . . إِنَّهُ الرَّجُلُ

الَّذِى صَنَعَهُ كَرَمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَّمَهُ الْبَذْلَ وَالْجُودَ وَالسَّخَاءَ : عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ !!

فَرَجَعَ سُلَيْمَانُ إِلَى مَقْعَدِهِ وَهُوَ مُطْمَئِنٌّ وَقَالَ :

ــ لَقَدْ ظَلَمْنَا عِكْرِمَةَ ، وَأَسَأْنَا بِهِ الظَّنَّ ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ ، الَّذِى يَخْجَلُ الْبَحْرُ مِنْ كَرَمِهِ ، وَيُقَصِّرُ السَّحَابُ عَنْ جُودِهِ !!

هَيَّا أَدْخِلْهُ مُكَرَّمًا يَا خُزَيْمَةُ !!

﴿ ﴿ ﴿

اِحْتَفَى سُلَيْمَانُ بِعِكْرِمَةَ حَفَاوَةً ظَاهِرَةً ،

وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، وَأَخَذَ يُلاطِفُهُ وَيَقُولُ :

ــ لَقَدْ كَانَ إِحْسَانُكَ إِلَى خُزَيْمَةَ سَبَباً فِي أَنْ تَلْقَى مَالَقِيتَ فِي السِّجْنِ يَاعِكْرِمَةُ !!

فَقَالَ عِكْرِمَةُ :

ــ بَلْ كَانَ سَبَباً فِي أَنِّي ظَفِرْتُ بِعَطْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرِضَاهُ .. وَلَوْلا أَنِّي لَقِيتُ مَالَقِيتُ ، مَاجَلَسْتُ هَذَا الْمَجْلِسَ الْكَرِيمَ !!

فَبَالَغَ سُلَيْمَانُ فِي إِظْهَارِ رِضَاهُ عَنْهُ ، وَعَطْفِهِ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ :

ــ اُذْكُرْ جَمِيعَ حَاجَاتِكَ يَاعِكْرِمَةُ ، فَإِنَّهَا

مَقْضِيَّةٌ فِي سَاعَتِهَا هَذِهِ !!

وَقَفَ عِكْرِمَةُ بِأَدَبٍ وَقَالَ بِلِسَانِ الشَّاكِرِ :

ـــ إِنَّ طَلَبَ الْحَاجَاتِ مِنْكَ يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَرَفٌ . وَلَكِنَّكَ لَمْ تَتْرُكْنِي أَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ ، فَإِنْ رَأَيْتَ يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَزِيدَنِي شَرَفاً وَنِعْمَةً ، فَلْتَتَفَضَّلْ عَلَيَّ بِمَا يَلِيقُ بِكَرَمِكَ وَفَضْلِكَ !!

اِهْتَزَّ سُلَيْمَانُ طَرَباً فِي مَجْلِسِهِ ، عِنْدَمَا سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ الْجَمِيلَ وَقَالَ :

ـــ يَاغُلَامُ ، ادْعُ لَنَا خَازِنَ بَيْتِ الْمَالِ ، وَكَبِيرَ الْكُتَّابِ ، وَرَئِيسَ الْجَيْشِ .

فَلَمَّا حضَرُوا أَمَرَ لِعِكْرِمَةَ بِعَشَرَةِ آلافِ دِينَارٍ، تَخْرُجُ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَأَمَرَ كَاتِبَهُ أَنْ يُعِدَّ وَثِيقَةً بِتَوْلِيَتِهِ ثَلاثَ وِلاياتٍ كَبِيرَةٍ : الْجَزِيرَةِ، وَأَرْمِينِيَّةَ ، وَأَذْرَبِيجَانَ .

وَأَمَرَ رَئِيسَ الْجَيْشِ أَنْ يُسَلِّمَهُ أَعْلامَ هَذِهِ الْوِلاياتِ فِي حَفْلٍ كَبِيرٍ .

وَقَالَ لِعِكْرِمَةَ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى خُزَيْمَةَ :

— وَأَنْتَ الْآنَ يا عِكْرِمَةُ صَاحِبُ الرَّأْيِ فِي أَمْرِ خُزَيْمَةَ ، إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ فِي وِلايَتِهِ تَابِعاً لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ عَزَلْتَهُ ! !

فَوَقَفَ عِكْرِمَةُ وَهُوَ يَقُولُ :

— بَلْ يَبْقَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . . زَادَكَ اللَّهُ عِزًّا وَتَأْيِيداً ، وَأَعَانَنَا اللَّهُ عَلَى الْإِخْلَاصِ لَكَ ، وَالْوَفَاءِ بِحَقِّكَ ! !

• • •

أَمَّا بَعْدُ ، فَهَؤُلَاءِ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ مِنَ الْعَرَبِ ، اشْتَهَرُوا بِالْكَرَمِ ، الَّذِى لَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ الْيَوْمَ ، وَلَوْلَا كَرَمُهُمْ مَا بَقِىَ ذِكْرُهُمْ .

فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ يَبْقَى ذِكْرُكَ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ ! !

لَقَدْ عَرَفْتَ الْآنَ طَرِيقَ الذِّكْرِ وَالْخُلُودِ ! !



حديقة الطفل
ظهر منها
(١) السمكتان المتوحشتان .
(٢) الابرة العجيبة .
(٣) تطقوطة الجميلة .
(٤) قطمة الذهب .
(٥) بحيرة الذئب .
(٦) التمثال الباكى .
(٧) صانعة البطل .
(٨) هدية القزم .
(٩) مزرعة الأرنب .
(١٠) دموع التماسيح .
(١١) من أخلاق العرب .
(١٢) فرقة موسيقى .
(١٣) الطائر الأخضر .
(١٤) ذو الرداء الذهبى .
(١٥) شجرة الذهب .
(١٦) جندى يعود .
(١٧) فى بيت العرائس .
(١٨) حياة جديدة .
(١٩) العرش الطائر .
(٢٠) تاج الهدهد .
(٢١) الطبال الصغير .
(٢٢) مع ملك البحار .
(٢٣) أحذية الأميرات .
(٢٤) التفاحة العجيبة .
(٢٥) رأس الشيطان .
(٢٦) مغنى الامبراطور .
(١٧) الصندوق الطائر .
(٢٨) ثورة جزيرة .
(٢٩) خرطوم الفيل .
(٣٠) بنت أمير الشمس
(٣١) أرض الأحرار .
(٣٢) أميرة البرتقال .
(٣٣) الفلاح السعيد .
(٣٤) مثل فى الجود .
(٣٥) الأمير المتخفى .
(٣٦) داعية سلام .
(٣٧) عبيد العصا .
(٣٨) سيد الكرماء .
(٣٩) معركة حول غدير .
(٤٠) رقصات الأبطال .
تطلب من مكتبة مصر
دار مصر للطباعه